اي حق عقلها الا العالمون اي الذين هيؤا للعلم وجعل طبعا لهم بما بث
في قلوبهم من انواره واشرق في صدورهم من اسراره فهم يضعون
الاشيا مواضعها روي الحارث بن ابي اسامة عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال العالم الذي عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب
سخطه قاله البغوي والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الاخر بالاول
يريد امثال القران التي يشبه بعضها احوال كفار هذه الامة باحوال
كفار الامم المتقدمة ولما قدم تعالى انه لا معجز له سبحانه ولا ناصر لمن خذله
استدل على ذلك بقوله تعالى خلق الله اي الذي لا يداني في عظمته السموات
والارض بالحق اي الحق الامر الذي يطابقه الواقع او بسبب اثبات الحق
وابطال الباطل او بسبب انه محق قاصد به باطلا فان المقصود بالذات
من خلقهما افاضة الجود والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله تعالى
ان في ذلك لاية اي دلالة ظاهرة على قدرته تعالى للمؤمنين واخص
المومنون بذلك لانهم المنتفعون به ثم خاطب تعالى راس اهل الايمان
بقوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب اي القران الجامع لكل خير لتعلم ان
نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة واقاموا بالغوا
في اقامة الدلالة ولم ينقذ قومهم من الضلالة وهذا تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم ولما ارشد تعالى الى مفتاح العلم دل على قانون
العمل بقوله تعالى واقم الصلاة اي التي هي احق العبادات ثم علل ذلك
بقوله تعالى ان الصلاة تنهى اي توجد النهي وتجدده للمواظب على
اقامتها بجميع حدودها عن الفحشا اي عن الخصال التي بلغ قبحها والمنكر
وهو ما لم يعلم في الشرع فان قيل كم من مصل يرتكبه اجيب بان
الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل
فيها التوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها
خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي على الصراط
والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف
والرجاء تحوطها بعد ان يصليها ولا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن
الفحشا والمنكر قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة تنهي وتزجر
عن معاصي الله فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد
بصلاته الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشا
والمنكر فصلاته عليه وبال وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى
ان ينتهي عن السيئات يوما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه
وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيا من الفواحش

الاركبه

الاركبة فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وقال ابن
عون معنى الاية ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها
وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لا بد ان يكون ابعد من الفحشا والمنكر من لا يراعيها
وايضا فكم من مصلين نهاهم الصلاة عن الفحشا والمنكر واللفظ لا يقتضي
ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر
فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكر وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة
فيه وحاصلة منه من غير اقتضا العموم وقيل المراد بالصلاة القران كما قال
تعالى ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك واراد به من يقرا القران في الصلاة ثم
فالقران ينهاه عن الفحشا والمنكر روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان رجلا يقرا القران كله واصبح سارقا قال ستنهاه قراءته ولما كانت
الناهي في الحقيقة انما هو ذكر الله اتبع ذلك بقوله تعالى ولذكر الله اكبر اي
لان ذلك المستحق لكل صفات كمال اكبر من كل شي فذكر الله تعالى افضل الطاعات
قال صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم
وارفعها في درجاتكم وخير من اعطا الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا
اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسيل
صلى الله عليه وسلم اي العبادة افضل عند الله درجة يوم القيمة قال
الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو
ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان
الذاكر الله كثيرا افضل منه درجة وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مر على جبل في طريق مكة يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان
سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا
والذاكرات او والصلاة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله
كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله اكبر ليستقل بالتعليل
كانه قال والصلاة اكبر لانها ذكر وعن ابن عباس ولذكر الله تعالى اياكم
برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال عطا ولذكر الله اكبر من ان تبقى معه
معصية والله اي المحيط علما وقدرة يعلم اي في كل وقت ما تصنعون من
الخير والشر فيجازيكم على ذلك ولما بين تعالى طريقة ارشاد المشركين بين
طريقة ارشاد اهل الكتاب بقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب اي اليهود والنصارى
ظنا منكم ان الجدال ينفع او يزيد في اليقين او يرد احدا عن ضلال مبين الا
بالتي اي المجادلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب
بالكظم والدعا الى الله تعالى باياته والتنبيه على حججه كما قال تعالى ادفع
بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم بان حاربوا وابوا ان يقروا بالجزية
فجادلوهم بالسيف بان يسلموا او يعطوا الجزية فجادلوهم بالسيف